جامعة الأزهر
كلية البنات الإسلامية بأسيوط
المجلة العلمية

كنايات الشيب في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي دراسة بلاغية

إعداد
د٠ عابد بن سلامة سليم الجهني
قسم الأدب والبلاغة – كلية اللغة العربية والدراسات الإنسانية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

(العدد الثاني والعشرون)
إصدار ٠٠٠٠ يونيو
الجزء الأول
١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥ م)

كنايات الشيب في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي دراسة بلاغية

عابد بن سلامة سليم الجهني

قسم الأدب والبلاغة، كلية اللغة العربية والدراسات الإنسانية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: bbd-6@hotmail.com

الملخص

تعد مرحلة الشيب من المراحل المهمة في حياة الإنسان، ولاسيما الشعراء؛ ولذلك تجد لها صدى في أشعارهم على مر العصور، فلا يكاد يخلو ديوان شعر من ذكر للشيب وضعفه ووهنه، في مقابل الشباب بملذاته وقوته، ومع أنه يمثل جزءًا مهما في بناء القصيدة العربية القديمة إلا أنه لم يحظ بالدراسات البلاغية المطلوبة، ومن هنا كان بحثي موجهًا إلى دراسة شعر الشيب من وجهة بلاغية، وكان موسومًا ب(كنايات الشيب في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي دراسة بلاغية)، ويهدف البحث إلى بيان الكناية في ثنايا التعبير عن ظاهرة الشيب. أما عن منهجي في البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي.أما عن النتائج فمنها: اعتياد شعراء الشيب البكاء على ذهاب شبابهم وحضور شيبهم؛ لأنه سبب في مفارقة اللهو وملذات الحياة، وصدود الجميلات، بخلاف عدى بن ربيعة الذي بكى على شيب أتى لفقد السند والعَضُدَ في الدنيا. ارتبط سياق استنكار الشيب بالنساء، وذلك لأنهن دائمًا يبحثن عن الشباب والفتوة، ويرين الشيب رمزًا من رموز الضعف والوهن، وقد صور شعراء الشيب هذا الاستنكار، وذلك التهكم، وقد بيّن البحث ذلك، كما آثر شعراء الشيب التعبير الكنائي دلالة عن الكبر والهرم، وعدم التصريح به ترفقًا بالشيخ الكبير، وتأدبًا معه في الحوار، ومنها أن إسناد الشيب للرأس كقوله:" شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ" يعد من الكنايات القريبة عن صفة الكبر والهرم، وقد شاعت عند العامة قبل الخاصة، وعند الشعراء قبل غيرهم من الخواص، حتى صار هذا الأسلوب بسبب طول استعماله كأنه حقيقة في التعبير عن الكبر، وقد بين البحث ذلك.

الكلمات المفتاحية: الكناية، الشيب، الشعر العربي، دراسة بلاغية.

Metaphors of Gray Hair in Arabic Poetry Until the End of the Umayyad Era: A Rhetorical Study

Abed bin Salama Salim Al-Juhani
Department of Literature and Rhetoric, Faculty of Arabic Language and Humanities, Islamic University of Madinah, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: bbd-6@hotmail.com

Abstract

The stage of gray hair is one of the significant phases in an individual's life, especially for poets. This is why it resonates deeply in their poetry across the ages. Hardly any poetry collection is devoid of references to gray hair stage (with its weakness and frailty) in comparison to youth (with its pleasures, and strength). In spite of its crucial role in shaping classical Arabic poetry, it has not received the rhetorical studies it deserves. Thus, my research is directed toward studying the poetry of gray hair from a rhetorical perspective, titled: *Metaphors of Gray Hair in Arabic Poetry Until the End of the Umayyad Era: A Rhetorical Study*. It aims to point out the use of metaphor in expressing the phenomenon of gray hair.

I used the descriptive analytical method.

Regarding results, it can be stated that poets of gray hair often lament the loss of their youth and the emergence of aging, as it signifies departure from leisure and life's pleasures, as well as rejection by beautiful women. However, Odai ibn Rabi'ah mourned his gray hair not for losing youth, but for the absence of support and companionship in life. The context of rejecting gray hair is closely related to women, as they continuously seek youth and vitality, viewing gray hair as a symbol of weakness and frailty. Poets of gray hair have depicted this rejection and mockery, as presented in the study. They preferred metaphorical expressions to signify aging and senility rather than explicitly stating it. This represented a state of consideration for the elderly and respect in dialogue. Among these metaphors is attributing gray hair to the head, as in the phrase: *'Shāba ra'su al-mar'i' (The man's head has turned gray)*, which is considered a close metaphor for old age and senility. This expression became widespread among the general public before scholars, and among poets before other specialists. Due to its frequent use, it has become almost a literal way to express aging. The current study has illustrated this point.

Keywords: ***Metaphor, Gray Hair, Arabic Poetry, Rhetorical Study.***

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد اهتم الناس قديمًا وحديثًا بمرحلة الشيب؛ وذلك لما تحمله هذه المرحلة من خصائص مختلفة عن كل مراحل حياة الإنسان، حيث تمثل خصائص الضعف البشري في منتهاه؛ لذلك حظيت هذه المرحلة باهتمام خاصٍّ من المفكرين والعلماء والشعراء، فكان لهم دور مهم في قراءة هذه المرحلة من عمر الإنسان، وتوصيفها، والعناية بها، وإبداع الشعراء في هذا الغرض حديث صادق بعيد عن المبالغة والادعاء؛ لأنهم يبدعون في تجربة عاشوها ومرحلة عانَوْها، فكان الصدق شعارًا لهذا الغرض، وما كان الصدق الفني في شيء إلا زانه، وناهيك عن تعبير شعري تَصْدُق فيه عاطفة الشاعر؛ لذا كان الشيب غرضًا مقصودًا من الشعراء، تعددت فيه أساليبهم، وتنوعت في الحديث عنه تراكيبهم، بل وتغايرت فيه أفكارهم ونظراتهم، فمنهم من صوب إلى الشيب سهام القدح، ومنهم من نثره بباقات المدح، فمن قدح نظر إلى أن الشيب إيذان بسلب الحياة؛ فهو نذير الموت، فالشيب وهن للقوى وضعف للبدن، وداع لصدود النساء، ومن مدح الشيب جعله مظهرًا من مظاهر الهيبة والورع والوقار، ودليلاً على وفور العقل واتزانه، إلى آخر تلك الأبواب التي ولج منها الشعراء في التعبير عن الشيب.

ولما كان الأمر بهذه الأهمية، فقد أردت الوقوف على صورة من الصور التي أنتجتها قرائح الشعراء في وصف هذه المرحلة المهمة من عمر الإنسان، وهي الكناية، فكان عنوان هذا البحث:(كنايات الشيب في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي دراسة بلاغية)

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في عدة أسئلة، ويحاول البحث الإجابة عليها، منها:

١. هل كانت الأغراض والسياقات التي أودع فيها شعراء الشيب مقاصدهم على نمط واحد وصفًا، أو مدحًا، أو ذمًا، أو....؟

٢. ما دور الطبيعة المحيطة في كنايات شعراء الشيب ؟

٣. لماذا آثر الشعراء الكناية في التعبير عن الشيب؟

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في نقاط منها:

١- أهمية هذه المرحلة العمرية في حياة الإنسان، حيث نضوج التجربة ووضوح الفكرة، وما يصاحب هذه المرحلة من ضعف بعد قوة، ومن وهن بعد عنفوان.

٢- تنوع طرائق الشعراء، وثراء تجاربهم في وصف هذه المرحلة من العمر، ووصف ما يصاحبها من تغيرات ظاهرية جسدية وداخلية نفسية.

٣- تواردُ الصور والأخيلة وتنوعُ المعاني في وصف الشيب أحدثَ نقلة نوعية في تطور الفكر العربي وتثبيت أصالته؛ كونه يصدر من مشكاة واحدة.

أسباب اختيار الموضوع:

يعود اختيار الموضوع إلى أسباب، منها:

١- كثرة الشواهد الشعرية التي استعملت الكناية في التعبير عن الشيب، فأحببت أن أقف على هذه الشواهد، محللًا إياها تحليلًا بلاغيًّا.

٢- بيان مقاصد الشعراء وأغراضهم التي تتعلق بظاهرة الشيب، مع الوقوف على الحالة النفسية التي دعت الشعراء إلى ذكر الشيب.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

١- الكشف عن مدى تعدد الصورة الكنائية، ومدى اتساق هذه الصورة مع الغرض العام الذي من أجله أنشأ الشاعر أبياته الشيبية.

٢- إبراز خلاصة تجربة شعراء الشيب، حيث صدق العاطفة وغياب الطيش.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات كثيرة تناولت ظاهرة الشيب من الناحية الأدبية، وأما من الناحية البلاغية فلم أجد- في حدود اطلاعي- سوى بحث بعنوان: الشيب في الشعر الجاهلي: أسبابه والمواقف منه وصوره المجازية، لخليل عبد سالم الرفوع، منشور بالمجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة - عمادة البحث العلمي، حيث عُنيَ صاحبه ببيان أسباب الشيب، ومواقف الشعراء الجاهليين منه، وتناول الجوانب الأدبية من خلال دراسة الصورة المجازية التي استخدمها الشعراء في وصف الشيب.

وإن كان عنوان هذا البحث له صلة بالدرس البلاغي لكنه في حقيقة الأمر لا يرتكز على التطبيقات البلاغية في التحليل، وهذا ما يجعل البحث بعيداً عما أسعى إليه في الدراسة البلاغية لشعر الشيب هنا.

منهج البحث:

أما عن منهجي في البحث فهو المنهج الوصفي التحليلي،

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يُصنّف في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس فنية متنوعة، على النحو التالي:

المقدمة:

وتحدثت فيها عن أهمية الموضوع وإشكاليته، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد: مفهوم والكناية والشيب:

المبحث الأول: صورة الكناية ومكانتها البلاغية.

المبحث الثاني: الكناية أبيات الشيب.

الخاتمة وفيها: أبرز النتائج، وأهم التوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد

مفهوم الشيب والكناية

يعد الشيب من الموضوعات المهمة التي تجد لها صدى في الشعر على مرَّ العصور، ومع ذلك لم يحظ بالدراسات البلاغية المنفصلة، ومن هنا كانت مهمة هذه الدراسة إلقاء الضوء على صورة الكناية في التعبير عن الشيب وطرحها طرحًا بلاغيًّا.

أولًا: مفهوم الكناية:

الكناية في اللغة: "أن تتكلم بشيء وتريد به غيره"(١)، وقال ابن فارس أن المادة "تدل على تورية عن اسم بغيره، يقال: كنيت عن كذا: إذا تكلمت بغيره مما يستدل به عليه" (٢).

الكناية في الاصطلاح: حدد الإمام عبد القاهر الكناية بقوله: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلًا عليه، مثال ذلك قولهم: هو طويل النجاد، يريدون طويل القامة، وكثير رماد القدر"، يعنون كثير القرى"(٣).

ويرى بعض علماء البلاغة المحدثين أنها: إطلاق لفظ، وإرادة لازم معناه، مع جواز إرادة المعنى الأصلي، فالمتكلم يترك اللفظ الموضوع للمعنى الذي يريد التحدث، ويلجأ إلى لفظ موضوع لمعنى آخر تابع للمعنى الذي يريده فيعبر به عنه(٤).

فاللفظ المستعمل في الكناية له معنيان: قريب وبعيد، والمقصود هو المعنى البعيد؛ فإن كان المقصود هو المعنى القريب لم يكن الكلام كناية، بل هو حقيقة، كقولك: فلان يده طويلة، فإن أردت وصف يديه حسيًّا، وكان يده طويلة بحق؛ كان كلام حقيقة لا تكنية فيه،

---

(١) الصحاح ٦/ ٢٤٧٧(ك ن ي).

(٢) المقاييس ٥/ ١٣٩(ك ن و).

(٣) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ٦٦.

(٤) ينظر: علم البيان للدكتور بسيوني فيود ص ٢٤٣.

وإن أردت أنه سارق، فالكلام كناية[١].

على أن ما تجدر الإشارة إليه أن التلازم القائم بين المعنى الأصلي والمعنى الكنائي قائم على العرف والعادة، فعضّ اليدين مرتبط بالحسرة، ولذا ظهرت كنايات حديثة مرتبطة بروح العصر كقولهم: ينظر إلى الدنيا بمنظار أسود، كناية عن التشاؤم[٢].

ثانياً: مفهوم الشيب:

الشيب في اللغة: "بياضُ الشَعَرِ، والمَشيبُ: دخولُ الرجُل في حَدِّ الشيبِ"[٣]، وقد يُعبّر عن الشيب بألفاظ أخرى، مثل: شمط، وذلك إذا اختلط سواد الشعر ببياضه[٤]، وقال ابن فارس: الشين والياء والباء يدل على اختلاط الشيء بالشيء، ومن ذلك الشيب: شيب الرأس[٥]، فهو "تحول سواد شعر الرأس إلى بياض؛ تأثرًا بضعف الشيخوخة"[٦].

الشيب في الاصطلاح: عملية فسيولوجية مصاحبة للتقدم في السن، ويحدث نتيجة توقف الخلايا الملوِّنة (الميلانوسيت)، وهي التي تفرز المادة الملوِّنة للجلد والشعر، ولذلك تجد أن الشيب يحدث –غالبًا– بعد سن الخامسة والثلاثين، ويبدأ بتغير لون الشعر إلى الرمادي، ثم إلى الأبيض الناصع، وقد يحدث الشيب مبكرًا؛ نتيجة لأسباب صحية أو نفسية[٧] .

---

(١) ينظر: علم البيان بين النظريات والأصول للدكتور ديزيره سقال، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص ١٧٨.

(٢) ينظر: علم البيان للدكتور مصطفى هدارة ص ٨١، ٨٢

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م،١/١٥٩ (ش ي ب).

(٤) ينظر: المخصص لابن سيده المرسي، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-. ١٩٩٦م، ١/٨٥ (ش ي ب).

(٥) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس، ٣/٤٣٢ (ش ي ب).

(٦) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم للدكتور محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ٢/ ١١٠١ (ش ي ب).

(٧) ينظر: وماذا عن الشيب للدكتور: محمد محمد السقا، مقال منشور بمجلة الهداية، وزارة العدل والشئون الإسلامية المجلد الثامن والعشرون العدد ٣١٦، ٢٠٠٥م، ص ١٠٦، ١٠٧.

المبحث الأول

صورة الكناية ومكانتها البلاغية

يعد التصوير البياني في الشعر من المجالات الخصبة التي تفتح الأفق للباحث المحب للبلاغة العربية ونقدها، وكذلك تفتح أبواب جليلة من المعارف والعلوم، والصورة من الموضوعات التي شغلت النقاد قديمًا وحديثًا والاهتمام بها موغل في القدم لأهميتها.

والصورة تعتمد في تكوينها على العلاقة القائمة بين اللفظ والمعنى، فليست هي اللفظ بمفرده شكلًا فارغًا رنانًا، ولا المعنى لذاته مضمونًا مجردًا، ولكنها الخصائص المشتركة بينهما، التي تقدم شخصية النص الأدبي، وتميزه عن غيره من النصوص بما تحمله من أحاسيس وانفعالات ربما لا يوحى بها ظاهر اللفظ ولا يحققها مجرد المعنى، ولكنها مزيج بين دلالة اللفظ وإيحائية المعنى في تحقيق نموذج أدبي(١)، فالصورة الفنية تستقى حيثيتها من علم البيان، كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية وغيرها، فهي التي تظهر بلاغة الأديب وشعرية الشاعر، إذ يستطيع من خلالها تأدية معانيه بأساليب شتى حسب ذوقه وأدبه، ومقتضيات السياق والنظم الذي يذكر في هذه الصورة(٢).

على أن ما تجدر الإشارة إليه أن التصوير البياني لا ينحصر في التشبيهات والاستعارات وسواها من ضروب المجاز فقط، ولكنه كل صورة توحي بأكثر من معناها الظاهر، ولو جاءت منقولة من الواقع، متناسية أن الإيحاء بأكثر من المعنى الظاهر لا يتم إلا باللحن، أو الرمز، أو التعريض، أو الكناية، أو التشبيه، أو الاستعارة، وكلها من ضروب المجاز بمعناه العام (٣).

---

(١) ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني، للدكتور محمد على حسين الصغير، دار الرشيد للنشر ١٩٨١م، ص٣٧.

(٢) ينظر: التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن دراسة بلاغية تحليلية، للدكتور عبد العزير بن صالح العمار، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م، ص٩.

(٣) الصورة الفنية في المثل القرآني ص٣٣.

ومن الصور البيانية التي استعملها شعراء الشيب الكناية، وذلك حينما لا يريدون التصريح بمضمون الشيب، فيعمدون إليها لغرض في نفوسهم، وغاية تخدم أهدافهم.

مكانتها وقيمتها البلاغية:

الكناية أسلوب قوى يتميز عن غيره من أساليب البيان، فهو يعطيك الحقيقة مصحوبة ببرهانها والقضية معها دليل شاهد عليها؛ لذا: قد أجمع علماء البلاغة على أن الكناية أبلغ من الإفصاح(١)، وعند الوقوف على مدونة الشيب عند الشعراء نجد أنه استعملوا الكناية؛ لأنها "من أروع المسالك البيانية والطرق الأسلوبية التي يعبر بها المنشئ عن المعنى، تعبيرًا مُظِلاً هادفًا موجزًا، يخفى تحت ظلاله لطائف مراده"(٢)، فالجمال في الكناية يكمن في دلالة اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، يقول عبد القاهر: "فإنَّكَ في جميعِ ذلك لا تُفيدُ غرضَك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظُ على معناه الذي يُوجِبُهُ ظاهرهُ، ثم يَعْقِلُ السامعُ من ذلك المعنى، على سبيلِ الاستدلالِ، معنًى ثانياً هو غَرَضُك"(٣).

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ص ٧٠.

(٢) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية لكمال عز الدين السيد، دار اقرأ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ _ ١٩٨٤م، ص ٢١١.

(٣) دلائل الإعجاز، ص٤٢٢.

المبحث الثاني

الكناية في أبيات الشيب

استعمل شعراء الشيب الأسلوب الكنائي، فقصدوا المعنى البعيد من اللفظ؛ لغرض في نفوسهم، كعدم الرغبة في التصريح تعمية وتغطية، أو التعظيم، أو إقامة الدليل على صدق دعواهم؛ لأن التعبير بالمعنى الكنائي أشبه ما يكون بتأكيد إثبات الصفة، وذلك أقوى من التعبير الصريح المباشر(١)، وقد جاءت الكناية عندهم في سياقات متعددة، منها:

أولًا: سياق الاستنكار والتهكم في مجيء الشيب.

ارتبط سياق استنكار الشيب بالنساء، وذلك لأنهن دائمًا يبحثن عن الشباب والفتوة، ويرين الشيب رمزًا من رموز الضعف والوهن، وقد صور شعراء الشيب هذا الاستنكار، وذلك التهكم، ومنهم علقمة الفحل الذي قال:

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِنَّ نَصِيبُ(٢)

يتحدث الشاعر عن طبائع النساء في التعلق بالرجال، وما يغريهن فيهم؛ حتى يتعلقن بهم، فيرى أن الشباب والحسن والفتوة وكثرة الأموال هم المحرك الرئيس لقلوب النساء حتى يتوددن للرجال، ويعطي المتلقي صورة واضحة من خلال بيته الأول الذي أقام معناه على أسلوب الشرط بقوله:" فَإِنْ تَسْأَلُونِي، فَإِنَّنِي بَصِيرٌ"؛ ليؤكد معناه، وقد جاءت بنية الجواب مصدرة بـ"إن" إمعانًا في تأكيد الحكم الذي سيصدره؛ فطبائع النساء متقلبة، ولا يجيد التعامل معها إلا خبير، يعلم تقلبهن في الأمر الواحد، وذلك على حسب الحالة المزاجية لهن، فنظرًا لصعوبة التكهن بأحوال النساء وأفعالهن قدم إن التأكيدية في جواب

(١) ينظر: علم البيان للدكتور مصطفى هدارة ص ٨٢.

(٢) المفضليات، للمفضل الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف – القاهرة، الطبعة السادسة، ص ٣٩٢.

الشرط؛ ليثب موهبته في معرفة طبائع النساء، وبصيرته بمكنون عقولهن، وهذا ما تناغم مع مقصده، حتى إذا أعطى حكمًا يكون مصدّقًا فيه، ومؤثرًا في عقول المتلقين وقلوبهم.

وأقام معناه في شطر بيته الثاني على أسلوب كناية يكثر استعماله عند العامة قبل الخاصة، وعند الشعراء قبل غيرهم من الخواص، وذلك في قوله:" شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ" فإن هذا القول يكثر في الكناية عن الكبر والهرم، حتى صار هذا الأسلوب كأنه حقيقة في التعبير عن الكبر، وقد قال الجاحظ إن الكناية إذا طال استعمالهم لها صارت كالإفصاح(١)، والشاعر هنا سار على درب الكثيرين، فكنى بشيب شعر الرأس عن صفة الكبر والهرم، فأطلق لفظ اللازم، وهو " شيب الرأس" ، وأراد الملزوم، وهو صفة " الكبر والهرم"، والقرينة هنا غير مانعة من إرادة المعنى الأصلي ، فقد تبعدت الجميلات عن الشخص الذي شاب شعره حقيقة، حتى ولو كان ذلك الشيب بدون كِبَر في السن، ولكن هذا المعنى غير مراد من الشاعر، فالذي يريده الشاعر أن تقدم سنِّ الشخص وهرمه هو السبب في عزوف النساء، بدليل أنهن يعزفن عن الشيخ الهرم ولو كان شعره حالك السواد، ويحببن ويتقربن من الشاب الفتيّ ولو كان شعره مثل نور النهار، فالكناية هنا من الكنايات السائدة عند الشعراء جميعًا، ولاسيما شعراء الشيب، كما أن التعبير بالكناية جاء ليبين حال الموصوف؛ لأن الشخص الكبير غالبًا ما يبيض شعره ويشيب،؛ حتى صارت هذه الصفة "الشيب" ملازمة للهرم والكبر، وقد قال ابن الناظم: "لا يترك التصريح بالشيء إلى الكناية عنه في بليغ الكلام إلا لتوخي نكتة كالإيضاح، أو بيان حال الموصوف، أو مقدار حاله..."(٢)، كما يُلمَح في هذا الأسلوب أيضًا المجاز المرسل بعلاقته الكلية؛ لأن الذي يشيب شعر الرأس، وليس الرأس حقيقة، والنكات البلاغية تتزاحم ولا تتداخل، فأجاد الشاعر في بيان مقصده ومعناه.

---

(١) البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ، ص ١١٦، ١١٧.

(٢) المصباح في المعاني والبيان والبديع لابن الناظم، تحقيق حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص ١٤٧.

وقد جاءت بنية الكناية على أسلوب الشرط في قوله:" إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِنَّ نَصِيبُ" ليؤكد أن ودّ النساء معلق على أمرين: هما الشباب، والغنى، وأن انعدام هذين الأمرين سينعدم ودّ النساء لهذا الشخص، وجاءت جملته ماضيه: "إذ التعبير بالماضي في الجملة الشرطية أوكد من المضارع؛ لأنه يجعل المعنى غير الحاصل حاصلًا"(١)، مما تلاءم مع سياقه وأتم معناه.

ومنه أيضًا ما يقوله زهير على لسان المستنكرات للشيب من الجميلات:

وقال العذارى إنّما أنتَ عمّنُا وكان الشبابُ كالخليطِ نزايلُهْ

فأصبحتُ ما يعرفنَ إلاّ خليقتي وإلاّ سوادَ الرأسِ والشيبُ شامِلُهْ(٢)

يتحدث الشاعر بأسلوب حواري أقامه بينه وبين النساء الجميلات التي استنكرت وجود الشيب في رأسه، فصرن لا يعرفن منه إلا المظهر الخارجي، وتَرَكْنَ الجوهر الداخلي، وكأن الإنسان عندهن انحصر بين لونين متغايرين؛ مما يدل على جهلهن وقصر نظرهن.

وقد جاء تلميحهن بعجزه وهرمه في أسلوب كنائي بديع في قوله:" إنّما أنتَ عمّنُا" حيث أطلقن اللازم وأرادنا الملزوم كناية عن صفة، فهن لا يردن إثبات القرابة بينهن وبينه أو ما شابه ذلك، وإنما يريدن أنه صار شيخًا كبيرًا وعجوزًا هرمًا يستحق معه لقب :" عمّنُا" فأطلقن اللفظ اللازم وهو عمنّا، وأردنا الملزوم عن ذلك وهو الكبر والهرم المسوغ لإطلاق هذا اللقب عليه، وقد آثر العذارى التعبير بالكناية دون أسلوب الحقيقة؛ ترفقًا بالشاعر وتأدبًا معه في الحوار، فهن لا يردن التصريح بشيبه وهرمه، ، فالكناية هنا عن الصفة، وإثباتها للموصوف بدليل محسوس على تحققها فيه، كما أنها أدل على المعنى القائم في نفس الشاعر؛ لأنها" أسلوب يُغلَّف فيه المعنى المقصود بغلاف لطيف يُكشَف

(١) بنية الجملة ودلالاتها البلاغية للدكتور محمد راكب، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص ١٠٩.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ٤٥، ٤٦.

عنه من خلال التأمل الواعي، وصولًا إلى الأسرار النفسية التي تبيّنُ عند الإفصاح مواطن الجمال"[١].

ولقد تحدث الإمام عبد القاهر عن فلسفة إفادة اللفظ الكنائي للغرض المراد، فقال: "فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى، على سبيل الاستدلال، معنى ثانيا هو غرضك، كمعرفتك من "كثير رماد القدر" أنه مضياف، ومن "طويل النجاد" أنه طويل القامة، ومن "نؤوم الضحى" في المرأة أنها مترفة مخدومة، لها من يكفيها أمرها"[٢].

وقد جاءت بنية الكناية على أسلوب القصر "إنما" التي قصرت صفة الكبر على الشاعر، حيث قصر الصفة على الموصوف، وقد آثر العذارى القصر بـ"إنما" دون غيرها؛ لأنها تأتى للمعاني المعلومة للمتلقي ولا يجهلها؛ لأن "(إنما) تستعمل لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته"[٣]، كما أردن توكيد كبره وشيبه وبلوغه مبلغًا يرجعن إليه في أخذ الرأي والمشورة فكانت دلالة أسلوب القصر:" لتأكيد هذا المعنى وزيادة تعيينه"[٤]، مما تناغم مع معناه ومقصده.

ومما جاء في الاستنكار والسخرية لحضور الشيب قول عوف بن عطية على لسان صاحبته:

سَخِرَتْ فُطَيْمَةُ أَنْ رَأَتْنِي عَارِيًا ... جَزِعًا إِذا لَمْ يُخْفِهُ ما أَرْتَدِي

إِمَّا تَرَيْنِي قَدْ كَبِرْتَ وَشَفَّنِي ... وَجَعٌ يُقَرِّبُ فِي الْمَجالِسِ عُوَّدِي

---

(١) فن الاستعارة دراسة تحليلية في البلاغة والنقد مع التطبيق على الأدب الجاهلي، أحمد عبد السلام الصاوي، كلية الآداب ــ جامعة عين شمس، طبعة ١٩٧٩م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٢٣٣.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز، ص ٢٦٢.

(٣) المصدر السابق ص ٣٣.

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١/٧٥.

فلَقَــدْ زَجَــرْتَ الْقِــدْحَ إذْ هَبَّــتْ صَــبًا خَرْقَــاءُ تَقْــذِفُ بالْحَظَــارِ الْمُسْــنَدِ

فَــإِذا قَمَــرْتُ اللَّحْــمَ لَــمْ أَنْظُــرْ بِــهِ نَيْئًــا كَمــا هُــوَ مــاؤُهُ شَــرْقَ الْغَــدِ(١)

يتحدث عوف عن سخرية صاحبته فطيمة من آثار الكِبَر التي ظهرت عليه، حيث رأته هزيلًا عليلًا، على خلاف غيره من الرجال ذوي القوة والجسامة، فيرد عليها مستنكرا سخريتها منه، بأنه كان في شبابه ذا فتوة وكرم، وهو ممن لا يجد العائب فيه معابًا بين القوم، ثم بدأ في تعداد مناقبه، فذكر أنه يعطى اللحم الغض الطري من أبله كل يوم ولا يؤخره إلى الغد، مما يدلل على أن الشاعر يعتب على محبوبته التي جعلت كبره مُبعدًا له عن تلك المناقب التي كانت أيام شبابه.

تحدث الشاعر عن شيبه وهرمه الذي أقعده، وذلك في كناية بديعة، حيث قال: "شَفَّنِي وَجَـعٌ يُقَرِّبُ فِي الْمَجالِسِ عُوَّدِي"، حيث بين أن الألم الذي أَلَمَّ به أهزله وأضناه، مما جعل عوّاده الذين يزورونه للاطمئنان عليه كُثُر، وهذا كناية عن المرض الشديد الذي جعل المحيطين به يعلمون بمرضه، ويأتون لزيارته، فأطلق لفظ اللازم وهو تقريب العوّاد لمجلسه، وأراد الملزوم وهو المرض الشديد، فتكون الكناية عن صفة المرض، فإثبات المعنى بدليل آكد للنفس من التصريح به غُفْلًا ساذجًا.

ويترقى الشاعر في إثبات استنكاره لما نعتته به محبوبته، فيأتي بصورة كنائية في قوله:" فَإِذا قَمَرْتُ اللَّحْمَ لَمْ أَنْظُرْ بِهِ نَيْئًا" فكنى عن كرمه وعدم بخله بسرعة تقديمه اللحم غضًا طريًا لضيوفه ، فهو لم يؤخره حتى الغد رغبة منه في الإطعام، فكنّى عن استعجاله في إطعام اللحم بالكرم، فإن من لم يتأخر عن تقديم الطعام فهو من باب أولى ممن يحرصون على الإطعام، وهذه الكناية قريبة من الكناية عن الشحّ في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴾ (٢)؛ لأن الذي يشح بالحض على الإطعام هو بالإطعام

(١) الأبيات لعوف بن عطية في الأصمعيات للأصمعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، الطبعة السابعة، ١٩٩٣م، ص١٧٠.

(٢) الماعون: الآية ٣.

أشح[1]، فالشاعر أراد بكنايته أن يؤكد أنه يطعم اللحم غضًا رطيبًا لا يؤخره إلى الغد فكأن الكناية دليل وبينة على صدق كلامه في إثبات كرمه وجوده، ونجد الشاعر أتى ببنية الكناية هنا على أسلوب الشرط بقوله:" فَإِذا قَمَرْتُ"، جوابه بقوله: "لَمْ أَنْظُرْ بِهِ نَيْئًا" فجعل عدم تأخره للغد معلق على استعجاله في تقديمه لضيوفه، وآثر أداة الشرط "إذا" ليحقق بها كرمه، ففي الاستعجال في التقديم وعدم تأخره مقطوعًا بوقوعه في كرم الشاعر لضيوفه وعدم تأخر ذلك منه للغد، فتلك الصور الكنائية أثبتت المعنى بدليل فصله الشاعر من خلال أداته: "أما" التي عددت مناقبه، وأثبتت خطأ محبوبته في سخريتها من الهرم والكبر الذي اعتلاه، مما تناغم مع مقصده وسياقه.

ثانياً: سياق الحسرة والندم لحضور الشيب

ترتبط الحسرة والندم بحضور الشيب في الرؤوس، وذلك لأن الشيب علامة لبدء حياة جدية بعيدة عن الملذات، وقريبة من الموت، وخير من يصور هذه الحقيقة هم الشعراء، ومنهم الأسود بن يعفر الذي يقول:

وَقَدْ أُرَانِي وَالْبِلَى كَاسْمِهِ ... إِذْ أَنَا لَمْ أَصْلَعْ وَلَمْ أَحْدَبِ

وَلَمْ يُعِرْنِي الشَّيْبُ أَثْوَابَهُ ... أُصْبِي عُيُونَ الْبِيضِ كَالرَّبْرَبِ[2]

بدأ الشاعر حسرته وندمه على حضور الشيب في رأسه بقوله:" وَقَدْ أُرَانِي" بالتعبير بالرؤية الحسية والبصرية التي توحى بالمعاينة والمشاهدة، فكأنه أراد أن ينقل إلى سامعه هذا المشهد الذي لا يزال حاضرًا في مخيلته، ولكي يزيد في التأكيد أتى بـ"قد" التي دخلت على الفعل المضارع في قوله:" أُرَانِي" فأراد تأكيد حاله للمتلقي بقرينة السياق؛ لأن الأصل

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٣٣٠/ ٥٦٦.

(٢) ديوان الأسود بن يعفر النهشلي، صنعة الدكتور نوري حمود القيسي، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م، ص٢١ ،٢٢.

في قد عند دخولها على الفعل المضارع أن تكون للتوقع[١]، وعند النظر في دلالة السياق ترى أنها للتحقيق، وتلك إجادة من الشاعر في إيصال مقصده.

وعند إنعام النظر في قول الشاعر: "وَقَدْ أُرَانِي وَالْبِلَى كَاسْمِهِ" وقوله:" أُصْبِي عُيُونَ الْبِيضِ كَالزَّبْرَبِ" نجد أنه اعترض بين الفعل ومفعوله الثاني بقوله:" وَالْبِلَى كَاسْمِهِ" والأصل أن يقال:" وقد أراني أصبي عيون البيض كالربرب إذ أنا"، ليبرز مشاعر الحزن والألم التي تلهب مشاعره وتمزق نفسه بالألم والضيق، فجمال الاعتراض هنا أكسب المعنى تأكيدًا، ولفت انتباه المتلقي إلى مكامن الحزن التي تتلاعب بنفس الشاعر، وقد تحدث أبو موسى عن السر البلاغي للاعتراض فقال: "ما أراد بها إلا أن يلفتنا إلى هذا المعنى، وأنه عنده بمكان حتى أنه اختار له أعز مكان عنده، وهو أن يضعه في قلب الجمل، والمعاني الأخرى، وأن يقتطع له مساحات خصصها المتكلم لمعان أخرى"[٢] ، كما ترى أن الشاعر في التعبير عن آثار الشيب قال: "البلى" وكأنه لما أراد أن يبحث عن شبيه له وقف حائرًا يفتش في اللغة ليجد شبيها ينقل به حزنه وضجره فلم تسعفه بما يماثله، ولم يجد شيئا أمامه ينقل إيحاءاته ومدلولاته على نفسه سوى "اسمه" فقال:" كاسمه" وكأنه يكرره باسمه، وهذا وراءه إحساس دقيق بمسميات الأشياء وكأنه وضع لهذه المعاني مسميات من الأشياء نابعة من الطبيعة والفطرة، وكأنه قال للمتلقي لا شيء أدل على البلى وأحق به من اسمه.

وقد أراد الشاعر أن يزيد المعنى تأكيدًا فأتى بأسلوب الكناية في قوله:" أُصْبِي عُيُونَ الْبِيضِ كَالزَّبْرَبِ" فكنى بها عن اكتمال شبابه وحسنه الباهر، فالكناية هنا عن صفة، لأن صبا الجميلات التي وصفهم الشاعر بقوله:" البيض" يستلزم حسنًا لا يقاوم، وشبابه قويًا

---

(١) الجنى الداني في حروف المعاني، لبدر الدين المرادي المصري المالكي، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م، ص٢٥٦.

(٢) قراءة في الأدب القديم للدكتور محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م، ص٥٦.

فتيًا لا يوصف، ولا يخفى ما للكناية هنا من فنية رائعة فهي أبلغ من التصريح، ففيها تأكيد المعنى من الوجهة التي تبعث طمأنينة النفس، وفي الكناية تجويد للصورة والمعنى الذي يشد النفوس ويجذب الأفهام، وفي ذلك يقول الإمام عبد القاهر:" كذلك سبيلُ المعاني، أن تَرى الواحدَ منها غُفْلًا ساذجًا عاميًا موجودًا في كلام الناس كُلِّهم، ثم تَراه نفْسَه وقد عَمَد إليه البَصيرُ بشأنِ البلاغةِ وإحداثِ الصُّوَرِ في المعاني، فيَصْنَعُ فيه ما يصنع الصنع الحاذق"(١)، فالجمال يكمن في دلالة اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، وليس أدل على الكناية من إنها تقرر المعنى بدليل فالدليل لدى الشاعر: "عيون البيض" فجعل المتلقي يذهب كل مذهب في تصور الحسن الذي يأسر عيون تلك الجميلات، كما يذهب في تخيل الجمال والدلال الذي عليه تلك النساء وكيف كان حسنهن لا يقاوم، فكل هذا ساقه الشاعر مصحوبًا بالدليل ومقرونًا بالحجة عن طريق الكناية، فتناغم مع سياقه وأصاب معناه.

نظم الشاعر "عدى بن ربيعة" هذه القصيدة عندما توجع على فَقْد أخيه "كليب"، ليبين مدى حسرته على فراق أخيه، فقال:

وَيْـــحَ أُمِّـــي وَوَيْحَهـــا لِقَتِيـــلٍ مِـــنْ بَنِـــي تَغْـــلِبٍ وَوَيْحـــًا وَوَاحَـــا

يـــا قَتِيـــلًا نَمَـــاهُ فَـــرْعٌ كَرِيـــمٌ فَقْـــدُهُ قَـــدْ أَشَـــابَ مِنِّـــي الْمِسَاحَـــا(٢)

يتحسر الشاعر على فراق أخيه، فبدأ أبياته بالنواح على قتيل بنى تغلب" أخيه كليب"، ثم يتحدث عن أصله الكريم، ونشأته الحسنة:" نَمَـاهُ فَرْعٌ كَرِيـمٌ".

ولقد أقام الشاعر معنى الفقد والحسرة على فراق أخيه بصورة كنائية بديعة في قوله:" فَقْـدُهُ قَـدْ أَشَـابَ مِنِّـي الْمِسَاحَـا" فكنى عن الحسرة والحزن بأشاب منى المساحا، فأطلق اللازم وأراد الملزوم وهي كناية عن الصفة، حيث إن الفقد لا يكونوا سببًا مباشرًا للمشيب، فأطلق اللازم وهو المشيب وأراد الملزوم وهو الحزن والحسرة، والقرينة هنا غير مانعة من

(١) دلائل الإعجاز ص ٤٢٢.

(٢) ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم: طلال حرب، الدار العالمية، ص٢٢.

إرادة المعنى الأصلي، فلا مانع من أن يصيبه الشيب حقيقة، ولكن هذا المعنى غير مراد، وغير ملائم للسياق، فهو يريد أن يُظهر أن فجيعته في أخيه قد أَدْمَتْ قلبه وأغمّته؛ مما تسبب في شيبه وهرمه، فالأخ هو سند الإنسان وعضده ، ومن ثم فإن وقع المعني الكنائي على النفس أشد تأثيرًا من وقعه صريحًا، فقد قال الإمام عبد القاهر :" إن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجًا غفلًا"(١)، مما تلاءم مع مقصده وأتم معناه.

وجاءت بنية الصورة الكنائية على الجملة الفعلية بفعلها الماضي المصدرة بـ"قد" في قوله: "قَدْ أَشَابَ مِنِّي الْمِسَاحَا"؛ ليحقق حسرته وحزنه على أخيه الذي بفقده فَقَدَ الشباب ورَغَده وملذاته، وأصحبت أيامه في عداد الموتى، فهو لم يعد يرى للحياة وجها يُعاش وأخيه قد واراه الثرى، وترى دلالة الحسرة في إضافة الشاعر في قوله: "مني" لنفسه، تحسرًا وتهويلًا للفقد الذي جرّ عليه تبعات الكبر والهرم، وأخرجه من دائرة الشباب وملذاته، مما تناغم مع مقصده ومعناه.

كما قدم قوله: "مني" على المفعول به :"المساحا"، ويقصد به ذوائب الشعر (٢) ؛ ليبين أن الشيب الذي أصابه قد وقع على نفسه قبل الوقوع على مسائحه، ليظهر مدى الأسى والحزن والألم الذي وقع عليه.

ثالثا: سياق الحزن والضجر من ظهور علامات الشيب:

مما لا شك فيك أن ظهور علامات الشيب من الأشياء التي تحزن الإنسان وتصيبه بالضجر، وقد قام شعراء الشيب بتصوير هذه المعاني في أشعارهم، ومنهم لبيد بن ربيعة الذي قال:

إِنْ تَــرَيْ رَأْســيِ أَمْســَى واضِــحًا ... ســـلّطَ الشـــيّبُ عَلَيْـــهِ فَاشـــتَعَلْ

فَلَقَــــدْ أُغْــــوِصُ بِالْخَصــــمِ وَقَــــدْ ... أَمْــلَأُ الْجَفْنَــةَ مِــنْ شَــحْمِ الْقُلَــلْ(٣)

---

(١) دلائل الإعجاز ص٧٢.

(٢) الصحاح ٤٠٥/١ (م س ح).

(٣) ديوان لَبِيد بن ربيعة العامري، اعتنى به حمدو طمّاس، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م، ص٩١.

يبدأ الشاعر حديثه بالحزن والضجر بسبب ظهور الشيب في رأسه، ورغم رجاحة عقله إلا أنه لم يستطع إخفاء حزنه على كِبَرِه وهرمه، ولكى يشرك المتلقي في مأساته؛ لفت انتباهه بطرافة أسلوب الشرط في مطلع غرضه؛ ليحقق مقصده ويؤكد مكانته وسط قومه، فله مناقب وصفات كثيرة لا تخفى على كل ذي عقل، فرغم أن الشيب أتاه فجأة ما بين ليلة وضحاها فقال:" إِنْ تَرَيْ رَأْسِيَ أَمْسَى واضِحًا" فعبر بالرؤية الحسية التي لا تخفى على أحد ممن حوله، فالشيب قد ملأ كافة رأسه، حتى صار البياض في رأسه كالنار المشتعلة، مما يدل وضوح الشيب في رأسه للرائي.

ثم جاء جواب شرطه المصدر بالفاء السببية؛ ليؤكد مقصده من أنه مازال ذا عقل راجح وبصيرة نافذة، تجعله يباري ويهزم بالمنطق من يتعرض له، وقد أقام هذا المعنى على أسلوب الكناية فقال: " فَلَقَدْ أُعْوِصُ بِالْخَصْمِ " أي: أُدخل عَلَيْهِ من الْحُجَج والبراهين ما يعَسُر عَلَيْهِ الْمخْرج مِنْهُا[1] ، فكنّى بأعوص بالخصم عن الذكاء ورجاحة العقل، فأطلق اللازم: أُعْوِصُ بِالْخَصْمِ، وأراد الملزوم: الذكاء ورجاحة العقل، فالكناية عن صفة، فالشاعر هنا يجعل المعنى يقع في النفس مصحوبًا بالدليل والبينة حتي يوقعه موقعًا تتطيب معه النفس وتأنس به، فآثر الكناية لأنها تزيد في إثبات دعواه، يقول الإمام عبد القاهر عن سبب كون الكناية أبلغ من التصريح: "ليس المعنى إذا قلنا: "إن الكناية أبلغ من التصريح، أنك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته، فجعلته أبلغ وآكد وأشد، فليست المزية في قولهم: "جم الرماد"، أنه دلّ على قِرًى أكثر، بل المعنى إنك أثبت له القِرَى الكثير من وجه هو أبلغ، وأوجبته إيجابًا هو أشد، وادَّعيته دعوى أنت بها أنطق، وبصحتها أوثق"[2]، فالكناية هنا أنفى للرّيب[3]، لأنها دلت على المعنى بدليل لا يدعو إلى الشك والريب، وقد اختار الشاعر لبنية المكنى به الجملة

(١) ينظر: تهذيب اللغة ٣/ ٥٢ (ع ص و).

(٢) دلائل الإعجاز ص٧١.

(٣) ينظر: الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ص٣٧.

الفعلية المصدرة بـ"قد والفعل المضارع"؛ ليدل على تحقق رجاحة عقله وذكائه، وفي هذا توطيد للمعنى وتقوية للحزن والضجر بسبب تقلب حالته من الشباب إلى الشيب، ومن القوة إلى الوهن والضعف.

كما ترى أن الشاعر لم يقف على صورة كنائية واحدة، بل سلك درب التوكيد في إثبات معناه، فقال في شطر بيته الثاني:" وَقَدْ أَمْلأُ الْجَفْنَةَ مِنْ شَحْمِ الْقُلَلْ"، فالشاعر كنى به عن كرمه وسعة يده في العطاء، فبرغم الشيب وتقدم العمر إلا أنه مازال على سابق عهده من الكرم والعطاء، فهو يملأ الأواني لضيوفه من سنام البعير، ولا يترك محتاجًا قريبًا منه أو بعيدًا عنه إلا ويجود عليه من العطاء، فالكناية هنا أبلغ من التصريح؛ لأن تعطى المعنى ومعه دليل إثباته، مما تلاقى مع معنى الشاعر ومقصده.

كما ترى الوصل بين شطري البيت بـ"الواو" للتوسط بين الكاملين لوجود الجهة الجامعة بينهما فكل من "أعوص، وأملأ" مسندة إلى مسند إليه واحد وهو الشاعر؛ ليدلل على أنه يجمع بين تلك الصفات وأنها محققة فيه، وهذا يتناسب مع درب الكناية في توطيد الصفات وتأكيدها.

ومما جاء في الحزن والضجر قول الشاعر:

فَقُلْتُ اصطَحِبْهَا أَوْ لِغَيْرِيَ فاسقِهَا ... فَمَا أَنَا بَعْدَ الشَّيْبِ ويحك وَالْخَمْرُ

إِذَا الْمَرْءُ وَفَّى الأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَكُنْ ... لَهُ دُونَ مَا يَأتِي حَيَاءٌ وَلاَ سِتْرُ

فَدَعْهُ وَلاَ تَنْفَسْ عَلَيْهِ الَّذِي أَتَى ... وَإِنَّ جَرَّ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ لَهُ الدَّهْرُ[1]

يتحدث الشاعر هنا عن حبه للخمر التي لازمته أيام شبابه، وكيف ابتعد عنها عندما اعتراه الشيب!، وبدأ يثبت لسامعه قوة نفسه في الابتعاد عن تلك الصهباء "الخمر" التي بدأ يغازلها حتى يبين سبب محبته إياها، والذي يقرأ أبيات الشاعر في الوهلة الأولى يظن أنه يخاطب غيره حتى يبعده عن الخمر بعدما ظهر عليه الشيب، ولكن في الواقع

(١) ديوان أبي دهبل الجمحي (رواية أبي عمرو الشيباني)، تحقيق: عبد العظيم عبد المحسن، مطبعة القضاء في النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ص٨١.

هذا إسقاط من الشاعر، فهو يصب المعنى على نفسه حتى يزجرها عن أفعال الشباب وملذاته، فيقول:" فَقُلْتُ اصطَحْبهَا أَوْ لِغَيْرِيَ فاسقِهَا"، فأتى بـ"أو" للتخيير؛ لجعل المخاطب بين أمرين يفعلهما مع هذه الخمر، أما أن يأخذها هو لنفسه، أو يعطيها لشخص آخر غير الشاعر ليشربها، فهو بعد المشيب قد ابتعد عن أفعال التصابي والملذات؛ لأن الشخص بعد الأربعين يجب أن يكون وازعه في البعد عن أفعال القبح هو نفسه قبل كل شيء.

ويقيم الشاعر معناه على الكناية في قوله:" أَوْ لِغَيْرِيَ فاسقِهَا" فكنّى عن توبته من شرب الخمر ، فأطلق لفظ اللازم:" أَوْ لِغَيْرِيَ فاسقِهَا" وأراد الملزوم عن ذلك أي غيري مما لم يتب عن شربها بسبب الشيب الذي اعتراه، والقرينة هنا غير مانعة من إرادة المعنى الأصلي وهو أمره بأن يسقيها لغيره، ولكن هذا المعنى غير مراد وغير ملائم للسياق، فهو يريد أنى تبت عن شرب الخمر، ولهذا فاذهب بها إلى من لم يتب، فالكناية هنا عن صفة، ليثبت الشاعر لسامعه أن نفسه ودعت عهد الشباب بكل ما فيه، مما جعل المعنى مصحوبًا بالدليل على صدقه وتوبته، مما تناسب مع مقصده وسياقه.

ولكي يرشح هذه الكناية أتى بكناية أخرى في قوله:" ويحك وَالْخَمْرُ" حيث إن الويح من معانيه الرحمة، ولكنه يستخدم كناية عن "الويل"، وقال الفراء: الويح والويس كنايتان عن الويل[(١)]، حيث أطلق اللازم وهو الويح –أي دعاء بالرحمة حتى لا يشربها–لمن يقترب من شرب الخمر، وأراد الملزوم الويل لمن شربها بالفعل، والكناية عن صفة الشارب للخمر، لأن "ويح": زجر لمن أشرف على الهلكة، و"ويل": لمن وقع فيه[(٢)]، وتلك الكنايات

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس لأبى بكر الأنباري، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ –١٩٩٢م، ١/١٣٩.

(٢) ينظر: الغريبين في القرآن والحديث، لأبي عبيد الهروي، تحقيق ودراسة أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه الدكتور فتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م، ٦/ ٢٠٤٢.

التي قصدها الشاعر هي دعوة ببينة على توبته عن ملذات الحياة وأيام الصبا بعدما لبس تاج الشيب، فأتم معناه وأصاب مقصده.

رابعاً: سياق الدربة والخبرة في حضور الشيب:

مع تتابع الأيام والسنين تمرّ على الإنسان الكثير من المواقف التي يتعلم منها، ولا شك أن الزمن خير معلم، فإذا تتابعت هذه السنين تتابعت معها كثير من الخبرات والتجارب، فإذا ظهر الشيب على شيخ؛ فلابد وأن تجاربه ووقائعه كثيرة، وقد مزج الشعراء بين الخبرة والدربة وبين الشيب في صورة بديعة، ومنهم أمير الصعاليك عروة ابن الورد، حيث قال:

وَيَـدْعُونَني كَهْـلًا وَقَـدْ عِشْـتُ حِقْبَـةً ... وَهُـنَّ عَـنِ الْأَزْواجِ نَحْـوي نَـوازِعُ

فَمـا شـابَ رَأْسـي مِـنْ سِـنينَ تَتابَعَـتْ ... طِـوالٍ وَلَكِـنْ شـيَّبَتْهُ الْوَقـائِعُ[1]

بدأ الشاعر قصيدته بمحاورة بينه وبين زوجته التي تحدثه عن ترك الحرب والغزوات، وأن يرجع للعيش معها بعدما بلغ الكبر، فيتحدث على لسان من حوله في ذكرهم كبره وهرمه فيقول:" وَيَدْعُونَني كَهْلًا وَقَدْ عِشْتُ حِقْبَةً" وقد صدره بقوله:" وَيَدْعُونَني" ليدلل على أنها ادعاء في لسانهم، ليس له وقع عند الشاعر، فهو يسمع ادعاءهم ولا يصدقهم ويسخر منها، فهو يرى كهولة نابعة من الخبرة والدربة، وليست في الحياة أعوامًا دون عمل أو فعل، وقصد الفعل المضارع:" وَيَدْعُونَني" ليبين استمرار وتجدد تلك الادعاء عليه بالكهولة والكبر، وكأن هذه الصفة ماثلة أمامهم لا يرون غيرها في الشاعر، فالفعل المضارع يجعل الحدث الغائب كأنه يقع الآن، وأحداثه تنقضي أمام الرائي، فالجوانب الغيبية التي لم تقع عليها حاسة الإنسان ولم تدرك حقيقتها يجعل منها المضارع

(١) ديوان عروة بن الورد العبس، دراسة وشرح وتحقيق أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ص ٨٢، ونُسب إلى مَسْعُودُ بْنُ مَصَادٍ الْكَلْبِيُّ في حماسة البحتري، ص ٣٨٤.

مشاهدات تخالط المشاعر وتلتبس بها...[١]، ثم بيّن أن الجميع كان عنه مشغولًا حتى الأزواج، بسبب كبر سنه وشيبه.

ثم يستدرك على الجميع، ويحاجج من يرميه بالضعف والشيب بكناية بديعة: "فَما شابَ رَأْسي مِنْ سِنينَ تَتابَعَتْ طِوالٍ وَلَكِنْ شَيَّبَتْهُ الْوَقائِعُ" يبين بها أن شيبه ليس بتتابع الأيام والسنين، ولكن بتراكم الخبرات والتجارب بسبب الوقائع التي مر بها، فأطلق لفظ اللازم: "شَيَّبَتْهُ الْوَقائِعُ"، وأراد الملزوم عنه وهو تراكم الخبرات والتجارب، فالكناية هنا عن صفة وهى طول الخبرة والدربة، كما أسند الشيب إلى رأسه:" شاب رأسي" مع أن الذي يشيب هو شعر الرأس على سبيل المجاز المرسل وعلاقته الكلية، حيث أطلق لفظ الكل" الرأس"، وأراد الجزء "الشعر" ليبين أن الشيب قد شمل شعره كله، حتى صار وكأن الرأس كله قد شاب، مما تلاءم مع سياقه ومعناه.

كما جاءت الكناية في أسلوب القصر وأداته العطف بلكن في قوله:" فَما شابَ رَأْسي، وَلَكِنْ شَيَّبَتْهُ"؛ ليؤكد للمتلقي أن شيبه من دلائل خبرته ودربته، ونظرًا لأن المخاطب منكر لهذا الأمر فقد أراد الشاعر أن يؤكد هذا المعنى فجاء بأسلوب القصر، لأنه عادة ما" يأتي لأمر ينكره المخاطب أو ما ينزل هذه المنزلة "[٢]، وأسلوب القصر يتناسب مع مقام الحجاج والرد على دعوى الكذب فتعلو فيه النبرة؛ فهو يأتي في المقامات التي يشتد فيها الخطاب: "ولا تلقاك هذه الأداة إلا حيث تلقاك النبرة العالية، والنغمة الحاسمة، والتعبير الشديد"[٣]، فالشاعر أورد معناه في صور بديعة أصاب بها مقصده وأكد معناه.

---

(١) ينظر: بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل ص ١٦٣.

(٢) القصر وأساليبه مع بيان أسراره الثلث الأول من القرآن الكريم، إعداد: نجاح أحمد عبد الكريم الظهار، بحث مقدم لنيل درجة ماجستير في البلاغة العربية، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ٨٥.

(٣) دلالات التركيب للدكتور محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ -١٩٨٧م، ص ١٠٥.

ومن رحم الدربة والخبرة ما قاله سمعان بن هبيرة:

وهادئـــة مـــن شـــيبتي وتحنُّنـــي ... وطـــول قعـــودي بالوصـــيد أُفكِّـــرُ

تقـــول فنـــى ســـمعان بعـــد اعتدالـــه ... وبعـــد ســـواد الـــرأس فـــالرأس أَزعـــر

فـــإن أَكُ شـــيخا فانيًـــا فلربمـــا ... أَصبت الَّذي أَقوى وما كنت أَحذرُ[1]

يبدأ الشاعر حديثه عن زوجه التي بدأت ترى آثار الكبر والعجز في زوجها، مما أطلق لسانها بعبارات التجريح ، مما جعل الشاعر يصاب بالحزن وضيق الصدر من جراء هذا الشيب، فأراد أن يدلل على أن هذا الشيب الذي أقعده ما هو إلا تجارب وخبرات لسنوات طويلة قضاها، فقال:" وهادئة من شيبتي وتحنُّني" ليبين أن هذا الشيب الذي جاء بتبعاته من كبر وعجز صار مع الشاعر حتى آخر أيامه يقاسيه وحده؛ ولذا تراه قد أضافه إلى نفسه بقوله:" شيبتي وتحنُّني".

وعند إنعام النظر نجد أن الشاعر يحاول أن يقيم حجة دامغة وبينة واضحة على أن ما مرّ به من وقائع وخبرات هي التي أعجزته وجعلته يقعد يفكر بها، وليس شيبه وهرمه من سنوات تتابعت عليه، فقال :" وطول قعودي بالوصيد أُفكِّرُ " على أسلوب الكناية فكنى بها عن العجز والكبر، وأراد أن يبين أن هذا الشيب والعجز لم يكن من تتابع السنوات بل من الوقائع والخبرات التي أجلسته في فناء بيته يفكر بها، ويتذكر أمجداها التي شارك فيها فقصد بالوَصيدُ: فِناء البيت"[2] ،فأطلق اللازم : "طول قعودي"، وأراد الملزوم عنه وهو العجز والكبر ، وقد عبر بقوله أفكر للدلالة علة رجاحة عقله بسبب الوقائع التي مرت به؛ فزادت من دربته وخبرته، فالكناية هنا عن صفة، وقد آثر الشاعر الأسلوب الكنائي دون التصريح ذلك لأن:" الكناية لا ترسل المعنى هكذا غفلا ساذجا، إنما تسوقه إلى النفس مع الدليل والبرهان، ولا شك أن المعاني حين ترد إلى القلوب هذا المساق المؤنس

(١) الأبيات لسمعان بن هبيرة، في المعمرون والوصايا ص٥٠.

(٢) العين، ١٤٥/٧ (و ص د).

كان ذلك أمكن لها"[١] .

كما تتلاقى أجزاء البنية التركيبية للبيت لتدعم أسلوب الكناية، حيث جاءت على الجملة الاسمية بقوله:" وهادئة "؛ ليدلل على استمرار هدوء زوجته وتجدد سكينتها كلما رأته أمامها بشيبه وتحننه، لأن اسم الفاعل في الاستعمال عند الكثيرين يدل على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه، كما أتى بحرف الجر "الباء" في قوله: "بالوصيد" للإلصاق[٢]، فإن التعبير بها له أثر في تقوية المعنى، وكأنه ألصق في فناء البيت لا يتحرك منه ولا يغادره من العجز الجسدي الذي أصيب به، مما يتناغم مع معناه ويوضحه.

كما أن الشاعر أتى بترشيح لكنايته في بيته الثاني بقوله:" تقول فنى سمعان بعد اعتداله وبعد سواد الرأس فالرأس أَزعر " لتؤكد أن هذا الرجل في شبابه كانت له من القوة والفتوة ما يشهد له، ولكن بعد الشيب فنى كل ما كان من اعتدال وقوة، وأصبح بعد سواد الرأس أصلع ذهب كل شعره من الشيب، والشاعر هنا أتى بأسلوب الحوار؛ ليقنع المتلقي بحالته التي آل إليها من الخبرة والدربة من جراء الوقائع التي عاشها، والتي شيبت رأسه بعد سواده وأبدلت قوته عجزًا، مما تلاقى مع مقصده.

كما رشح كنايته السابقة بقوله:" فإن أَكُ شيخا فانيًا فلربما أَصبت الَّذي أَقوى وما كنت أَحذرُ" حيث بيّن أن كبره وعجزه وهرمه قد زاده خبرة ودربة؛ نظرًا لتعدد التجارب والوقائع التي مرت عليه، وقد أقام بيته على أسلوب الشرط ليؤكد المعنى ويقويه، إن رأيتني صرت شيخًا فانيًا فليس كل الشيب عيبًا، حيث إنني قد أصبت الكثير بسبب التجارب التي مرت بي حتى صارت المخاوف التي تخيف الجميع مألوفة مأنوسة بالنسبة لي؛ لكثرة وردها عليّ مما أكسبني خبرة ودربة لم تكن متاحة لغيرى، وعطف بـ "الفاء" الدالة على السببية في قوله:" فإن أَكُ"، فرتب خبرته ودربته في الوقائع على قعوده وعجزه في فناء بيته يفكر بها، وهذا كله تلاءم مع المعنى وقوى مقصده.

---

(١) ينظر: التصوير البياني، ص٤٨٤.

(٢) حروف المعاني والصفات ص ١٠٩.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من المحيا للممات، وعلى آله وصحبه أتم التسليمات، وبعد، فقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، منها:

١- تنوعت السياقات التي اشتملت على الكناية ما بين الاستنكار والتهكم في مجيء الشيب وبين سياق الحسرة والندم لحضور الشيب وبين سياق الدربة والخبرة في حضور الشيب.

٢- ارتبط سياق استنكار الشيب بالنساء، وذلك لأنهن دائمًا يبحثن عن الشباب والفتوة، ويرين الشيب رمزًا من رموز الضعف والوهن، وقد صور شعراء الشيب هذا الاستنكار، وذلك التهكم، وقد بيّن البحث ذلك.

٣- يعد إسناد الشيب للرأس كقوله:" شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ" من الكنايات القريبة عن صفة الكبر والهرم، وقد شاعت هذه الكناية وسادت عند العامة قبل الخاصة، وعند الشعراء قبل غيرهم من الخواص، حتى صار هذا الأسلوب بسبب طول استعماله كأنه حقيقة في التعبير عن الكبر، وقد بين البحث ذلك.

٤- آثر شعراء الشيب التعبير الكنائي دلالة عن الكبر والهرم، وعدم التصريح به ترفقًا بالشيخ الكبير، وتأدبًا معه في الحوار

٥- آثر شعراء الشيب استعمال الكناية في التعبير عن الكرم والجود ورجاحة العقل في أبياتهم؛ لأن الأسلوب الكنائي يؤكد المعنى بدليل وبينة، وهذا يعضد السياقات التي وردت فيها الكنايات ولاسيما سياقات الاستنكار والتهكم، وقد بيّن البحث ذلك.

أما عن توصيات الدراسة فهي ضرورة العمل على إجراء المزيد من الدراسات والأبحاث حول ظاهرة الشيب في العصور اللاحقة لهذه الدراسة، ومحاولة المقارنة بين نظرة الشعراء.

فهرس المصادر والمراجع

[١] تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

[٢] التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

[٣] التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان للدكتور محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٧، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

[٤] التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن دراسة بلاغية تحليلية، للدكتور عبد العزير بن صالح العمار، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

[٥] دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

[٦] علم البيان للدكتور مصطفى هدارة، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

[٧] وماذا عن الشيب للدكتور: محمد محمد السقا، مقال منشور بمجلة الهداية، وزارة العدل والشئون الإسلامية المجلد الثامن والعشرون العدد ٣١٦، ٢٠٠٥م

[٨] مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

[٩] علم البيان بين النظريات والأصول للدكتور ديزيره سقال، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

[١٠] المخصص لابن سيده المرسي، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-. ١٩٩٦م.

[١١] المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم للدكتور محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

[١٢] الصورة الفنية في المثل القرآني، للدكتور محمد على حسين الصغير، دار الرشيد للنشر ١٩٨١م.

[١٣] الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، لكمال عز الدين السيد، دار اقرأ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ _ ١٩٨٤م.

[١٤] علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان للدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع بالقاهرة، دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع بالأحساء، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

[١٥] المفضليات، للمفضل الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف – القاهرة، الطبعة السادسة.

[١٦] البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.

[١٧] المصباح في المعاني والبيان والبديع لابن الناظم، تحقيق حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

[١٨] بنية الجملة ودلالاتها البلاغية للدكتور محمد راكب، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

[١٩] فن الاستعارة دراسة تحليلية في البلاغة والنقد مع التطبيق على الأدب الجاهلي، أحمد عبد السلام الصاوي، كلية الآداب ـ جامعة عين شمس، طبعة ١٩٧٩م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[٢٠] تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٢١] الأصمعيات للأصمعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، الطبعة السابعة، ١٩٩٣م.

[٢٢] ديوان الأسود بن يعفر النهشلي، صنعة الدكتور نوري حمود القيسي، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.

[٢٣] الجنى الداني في حروف المعاني، لبدر الدين المرادي المصري المالكي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

[٢٤] قراءة في الأدب القديم للدكتور محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

[٢٥] ديوان المهلهل بن ربيعة ، شرح وتقديم: طلال حرب، الدار العالمية.

[٢٦] ديوان لَبِيد بن ربيعة العامري، اعتنى به حمدو طمّاس، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

[٢٧] الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدي، المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

[٢٨] ديوان أبي دهبل الجمحي (رواية أبي عمرو الشيباني)، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، مطبعة القضاء في النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

[٢٩] الزاهر في معاني كلمات الناس لأبى بكر الأنباري، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.

[٣٠] الغريبين في القرآن والحديث، لأبي عبيد الهروي، تحقيق ودراسة أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه الدكتور فتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

[٣١] ديوان عروة بن الورد العبس، دراسة وشرح وتحقيق أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

[٣٢] بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل، ظافر بن غرمان العمري، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

[٣٣] القصر وأساليبه مع بيان أسراره الثلث الأول من القرآن الكريم، إعداد: نجاح أحمد عبد الكريم الظهار، بحث مقدم لنيل درجة ماجستير في البلاغة العربية، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

[٣٤] دلالات التركيب للدكتور محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ -١٩٨٧م.